الشمالى كان قائد فرقتنا وأركان حربه يشاهدون العدو واذا بمقذوف قتل كلا من الاركان حربين والقائد فى الوسط لم يصبه ولا جرح خفيف والذين فى مقدمة الهجوم على قلعة أكثر تعرضا للاصابة ولربما تحمل من بالخلف خسائر أكثر ممن فى المقدمة ولقد قال نابليون « ان الطلقة تصوب نحوك لا تصيبك ولو تعرضت لها وان قدر أن تصاب فانها تتبعك حتى اذا هربت » وأتذكر بعد موقعة (تابيوشان) ان ستة جنود روسية كانوا متقهقرين ببطء فأطلق كل منا بندقيته عليهم فلم يصب أحد منهم

الفصل السادس والعشرون

مطر الرصاص البشرى

كانت جثث الموتى البواسل تبنى رابية فوق أخرى ودماؤهم تجري كالجداول فى الوديان ولقد صار ميدان القتال مقبرة والتل والوادى مشتعلان بالنيران وبعد دقائق وثوانى كانت الارواح الواحدة بعد الاخرى تسير الى عالمها العلوى وكان امتزاج القوة بالسلاح والذخيرة يضعف قوة العدو ولا شك أن النتيجة هى النصر النهائي وتلك القوة هى السونكى وصياح الحرب معا ولان السونكى المضيئة والصراخ الفظيع اذا اختلطا معا يهرب منهما العدو ولقد قال مكاتب (لندن استندارد) « حقا ان صراخ حرب الجيش الياباني كان يثقب قلوب الروسيين » ولكن مهما كانت كثرة ضوء سونكياتنا وصراخنا مخيفا للعدو الا أنه لا يسعنى الا أن أبكى حينما أتذكر هذه المهاجمة لان ضوء

السونكيات وصوت صراخ الحرب كانا يقلان فى أول الهجوم العام لكثرة الفتك بالهاجمين ورغما عن عدد المقذوفات العظيم والهجوم على القلاع المنيعة قد انتهى بنجاحنا فان هجومات كبيره كهذه سالت فيها دماء محاربين مخلصين

وقد عول القائد العام وهو يبكى أن يقدم أرواحنا ضحية بكل ارتياح فامرنا بالهجوم وهذه المهاجمات الاول وان كانت بدون فائدة فقد برهنت على الخطوة الاولى الى النجاح والتمهيد لنجاحنا النهائى .

وقد أمرت أورطة (يوشيناجا) بالزحف ليلا فى يوم ٢١ كالفول المهاجم الاول ومعها قسم من المهندسين لكسر عراقيل السلوك وكان كل سعيهم لحسن الحظ ناجحا فانهم فتحوا فجوة صغيرة للبيادة فأمر البكباشى (يوشيناجا) جنوده بأن لا يطلقوا طلقة وأن لا يهمسوا همسة بل يتقدموا بسرعة تحت جنح الظلام واذاهم تحت أسوار العدو فتقهقر الروسيون المفاجأون بدون أدنى مقاومة ولكن عند ما رجعوا الى الخلف مسافة صغيرة ظهر قسم امداد عظيم مصحوب بصوت مدافع الماكينه الفظيع فاضطر المتقهقرين الى الرجوع ثانيا وهجموا هجوما تعرضيا مصحوبا بصياحهم (هولا) وأمر البكباشى (يوشيناجا) جنوده بان لا يتقهقروا خطوة ثم تبع ذلك محاربة يدا بيد اشتبكت فيها السونكيات ولكن الاسف ان البكباشى (يوشيناجا) الذى كان يقود رجاله فى المتاريس الصدرية وقع ميتا برصاصة اخترقت صدره فاستلم قيادة الاورطة بعده اليوزباشى (اوكوبو) وبعد قليل قتل هو الآخر وهكذا كان البدل بعد الآخر يقتل حتى قتل الجنود جميعهم تقريبا ولما لم يحضر لهم أمداد واشتدت نيران العدو عليهم اضطر من بقى حيا أن يتقهقروا لمدة قصيرة الى

واد عميق تحت عراقيل السلوك وانتظروا هناك حضور أمداد فلم يحضر أحد لمساعدتهم واستمروا كذلك بدون فائدة لفجر اليوم التالى بجانب اخوانهم القتلى وقد كانوا تحت العدو تماما بعيدين عنه بمقدار اثنى عشر قدما وقد استمروا نحو الثلاث عشرة ساعة وهم قابضون على بنادقهم بشدة غير قادرين على عمل أى شىء وفى يوم ٢٢ ليلا قربت أورطه (تاكينومى) من عراقيل السلوك المكسورة وحاولت أيضا مهاجمة العدو فأصلاها الروس نارا حامية وكان حظها كحظ سابقتها وكانت الانوار الباحثة تدور بسرعة حولنا فتعشى أبصارنا والقنابل النجمية تفرقع فوق رؤوسنا ولقد خرج الروس أمام متاريسهم صباحا وهم يرقصون فرحا بما نالنا من الخيبة بينما كنا واقفين على تل من جثث موتانا ونجرى من تحتنا أنهار دمائهم

وقد أصيب أحد اليوزباشية واسمه (ماتسوكا) بجرح بليغ فقد به كثيرا من دمه حتى ضعف صوته ولما علم بقرب أجله أخرج الخرط السرية من جيبه وأتلفها ثم مات وهو معرقل فى عراقيل سلوك العدو وقد أخبر (الميكادو) بموت هذا اليوزباشى الغيور فاسف عليه أسفا شديدا

وبعد ذلك صممنا على الهجوم العام ثانيا فى الساعة ٣ صباحا من يوم ٢٤ وقد كان بلوكنا معسكرا عدة أيام فى وادى (يانجشياكو) فتركنا هذا المكان فى يوم ٢٣ ليلا ورحلنا الى نقطة (ووشيافنج) وقبل أن رحل جمع اليوزباشى ضباطه وقال لهم « الوداع وليس عندى كلمات أخرى أقولها لكم وانى عزمت على أن أترك جسمى فى ميدان القتال غدا فمن فضلكم اشربوا قدح الماء هذا للفراق الطويل »

وقبل سماع هذه الكلمات كنا قد صممنا نحن أيضا أن نموت كذلك

ثم تركنا بلوكنا محل معسكره واصطف تحت الصفصاف الكثيف على شاطىء النهر معتقدين أن هذا هو الاجتماع الاخير وكنا نقابل فى طريقنا الى المكان الجديد جماعات متسلسلين ممن جرحوا وقتلوا فى الوقائع الاخيرة

وقد ضللنا الطريق الموصلة الى (وشيافونج) واذا بنا بدون قصد فى محل الفرقة التاسعة فرأينا الجنرال (اوشيما) مرتديا لباسه الشتوى رغما عن حرارة الطقس وزنارا يابانيا (أوبى) مشدودا وبه سيف يابانى طويل فعند رؤيته ظننا أننا فى حلم فى حالة اليابان القديمة ولقد سألت أحد الضباط عن الطريق فأشار لنا الى الخلف فرجعنا ومع ذلك لم تهتد وكلما استرشدنا بأحد يرشدنا الى جهة غير الجهة المقصودة فوقفنا فى حيرة شديدة وكان ميعاد المقابلة الساعة ١ صباحا وقد بقى عليه قليل ولو تأخرنا عن الميعاد كان ذلك عاراً أو تقصيراً وربما تسبب عن تأخيرنا هزيمة آلاينا الذى يجب انضامنا اليه فى الهجوم ولحسن حظنا تقابلنا مع جندى من فرقة المهندسين فوضح لنا تفصيلا كيف نتجه الى (ووشيافنج) فسرنا مسترشدين بتعليماته وبعد قليل وجدنا خنادق حصارنا فمشينا بجانبها حتى وصلنا الى قمة ثم دخلنا الحقول المعرضة الى نظر العدو فعدونا وفى الحال أضاء علينا (نور البحث) فأمرنا بالركود والاختفاء الى أن يختفى وأخيراً وصلنا المكان الذى تصورنا أنه مكان الميعاد فلم نجد أحدا من جيشنا هناك الاجثثا مظلمة كانت ملقاة على الارض ومن المحتمل أن جيشنا كان جمع نفسه من قبل فى أسفل قلعة (بانلونج) الشرقية التى فرضت أن تكون مركز هجومنا ولما نظرنا الى

ساعاتنا وجدنا أن الميعاد فات ببضع دقائق فحاولنا عبثا بكل جهدنا أن نجد آلايناحتى ان قال اليوزباشى « انه لا كفارة لغلطى الا بالانتحار »

وليس هو فقط بل شعرنا الجميع انا لم ننجح فى حضور هذه الموقعة فارسلنا الكشافة الى جميع الجهات ولكن لم يرجع أحد بخبر وكان قد ضاق الوقت فعولنا نهائيا أن نتوجه الى قلعة (بانلونج) ونحارب بمفردنا واذا كان قد ابتدأ الجيش الاصلى فى المحاربة فى ذاك الوقت نكون فى مكان قريب للالتحاق معه وكنا نسمع طلق مدافع (ماكينة) من وقت لآخر نظن أنه من جهة (بانلونج) وان الوادي العميق الذى كان بقربنا يوصل لذاك الجبل فرحلنا من (ووشيا فونج) ماشين بجانبه وهـذا الوادى كان ممرا ضيقا عرضه أقل من ٤ أمتار تقريبا وهو المحـل الذى حارب فيه كل من الفرقة التاسعة والآلايات السابعة والتاسعة من الاحتياط فى اليوم السابق محاربة عنيفة . فما كان أفظع هذا المنظر ! فلا نقالة ولا عربة طبية أمكن حضورها فكانت القتلى والجرحى متراكمة على بعضها فى كل مكان بعضهم يئن من الآلام والآخر يصيح مستغيثا والبعض فى غاية السكون لا يتنفسون وكنا نجد صعوبة فى المشى بدون أن ندوس عليهم حتى وانى قد كنت أقول لاحد جنودى « لا تدس على الجثث » بينما كنت أنا أدوس على صدر واحد رغما عن احتراسى وكان اعتذارى الوحيد له « سامحنى » وهذا ما يمكنى أن أقدمه للميت وبالجملة فمن المستحيل ان نمر فى هـذا المضيق الطويل المملوء بالجثث بدون أن ندوس عليهم

وعند انتهاء المضيق قربنا جداً من عرقيل سلوك العدو فوقفنا برهة

من الزمن سمعنا فيها مدافع ما كينية تطاق نيرانها فى يسارها وسمعنا ضوضاء اذ هي ستة مدافع ورجالها وجماعة من البيادة يحاولون الصعود الى (پانلونج) ولكنهم رجعوا من حيث أتوا لشدة نيران مدافع الماكينة الروسية عليهم

ولما وصلنا الى أسفل الجبل لم نر فرقتنا هناك فعولنا على الرجوع من الطريق نفسه وفى أثناء رجوعنا وجدنا الجرحى الذين كانوا بالمضيق ماتوا لمرور عجلات مدافعنا عليهم وقطعوا أربا وكانت العظام المفتتة واللحوم المتقطعة والدماء المتدفقة مختلطة بالسيوف والبنادق . فما الذى يكون مؤثرا أكثر من هذا المنظر ؟

ثم رجعنا الى قمة المضيق وانتظرنا هناك برهة واذا باشباح ظهرت فى الظلام ـ فكانت هذه فرقتنا الاصلية ـ فكان سرورنا لا يحد وقد علمنا أنهم لم يمكنهم الوصول الى مكان الميعاد فى الوقت المحدد بسبب أنوار البحث فتنهدنا تنهد الراحة بانضمامنا الى القوة الاصلية وفرحنا لوجودنا معهم فى الهجوم العام الاول ولم يسترنا محل الاجتماع من نار العدو ولم يكن كافيا لضم عدد عظيم من الجنود وانما كان محميا بواسطة واد عميق كان يمنع العدو من رؤيتنا

وقد اجتمع الضباط وطلب كل واحد الآخر نجاحا وتكلموا برهة بسرور وبعد بضع ساعات قتلوا جميعا الا أنا والبكباشى (ماتسمورا) وكلما تذكرت ذلك يخيل لى أنى أنظر وجوههم واسمع كلامهم